Scientific Journal of Faculty of Education, Misurata University-Libya, Vol. 2, No. 6, Dec. 2016

Published on Web 01/12/2016

المجلة العلمية لكلية التربية، جامعة مصراتة، ليبيا، المجلد الثاني ـ العدد السادس، ديسمبر 2016م

العلاقة بين اللفظ والمعنى وآراء القدامى والمحدثين فيهما

د. عز الدين أحمد عبد العالي*

مقدمة:

الله أحمد أن جعلنا من أمة خير العباد، وجعل لغتنا تميز بالضاد، وأصلي وأسلم على نبيه الهادي إلى سبيل الرشاد، وعلى آله وصحبه الأنداد.

أما بعد،، فقد كانت قضية اللفظ والمعنى من أجل القضايا التي شغلت المتكلمين، وأهل اللغة، وأرباب جل العلوم النظرية، وقد تكلموا فيها جميعا، كل من منظوره، وقد حاولت في هذه الصفحات الإجابة عن السؤال من خلال عرض الآراء التي ذكرت حولها وهو: هل كانت آراء العلماء متحدة في كون العلاقة طبيعة أم اصطلاحية عرفية؟

وقد قسمته إلى: تمهيد بعد المقدمة وثلاث مباحث وخاتمة هي على التوالي:

المعنى اللغوي والاصطلاحي للمادتين، مكـانة اللـفظ والمعـنى، اللفظ والمعنى بين القدامى والمحدثين، فأقول مستعينا بالله تعالى:

التمهيد:

لقد كان القرآن الكريم هو المعجزة الخالدة الذي انبثقت منه كل العلوم والمعارف الإسلامية، فكان الدافع الأساسي والرئيس للبحث والاستقصاء، فبفضله اتسعت المدارك وتفجرت العلوم لخدمته بغية ملامسة خفايا تشريعاته ومعانيه وأساليبه، فكان نقطة الارتكاز التي تدور حولها كل العلوم، ومن بين المواضيع التي أثارت فضول وحماس العلماء على مختلف التخصصات ثنائية اللفظ والمعنى.

* قسم اللغة العربية – كلية التربية– جامعة مصراتة.

والسبب هو أن علاقة اللفظ بالمعنى، تمتد إلى أعماق بعيدة أسهم فيها المجال اللغوي وذلك في تنظيم المجتمعات البشرية، فكان لابد من وجود مصطلح يمثل جهة اللغة ويعبر عنها وهو اللفظ، ومصطلح يعبر عن جهة المضامين وهو المعنى.

فكانت دراسة المعنى في النحو العربي غاية مهمة في الدرس اللغوي قديما وحديثا، ولا يخفى أن هناك قوة تربط بين اللفظ والمعنى، بحيث يصبح اللفظ عند استعماله كأنه المعنى، والمعنى كأنه اللفظ، فإذا أحضر المتكلم اللفظ فكأنما أحضر المعنى نفسه للسامع، وهذا الارتباط بينهما يجعلهما كالشيء الواحد.

إن ثنائية اللفظ والمعنى قد أصبحت محط اهتمام مختلف العلماء، ويمكن القول إن قضية اللفظ والمعنى لم تكن لتكتسب أهميتها عند البلاغيين واللغويين، لولا اتصالها بقضية الإعجاز القرآني، التي كانت الشغل الشاغل لجميع البيئات العلمية، فقد ربط هؤلاء العلماء ما بين قضية الإعجاز وثنائية اللفظ والمعنى لكشف أسرار القرآن الكريم وإبراز سر الإعجاز اللغوي فيه،

كما أننا من خلال المعنى نستطيع الوصول إلى الكشف عن القواعد المنظمة للتراكيب النحوية، والوسائل الإجرائية المتبعة في دراسة النص العربي، وهذا واضح في تتبع العلماء للتراث العربي الذي كان متأصلا فيه ومبثوثا في مؤلفاتهم، التي امتدت أصولها من العصر الجاهلي وشملت القرون الهجرية الخامس، والسادس، السابع، بحيث تجلت هذه النظرية في كونها عربية خالصة.

المبحث الأول

المعنى اللغوي والاصطلاحي للمادتين

المعنى اللغوي والاصطلاحي للفظ: جاء في الصحاح؛ أولاً الدلالة العامة لمادة (لفظ) وهي (الرمي من الفم): لفظت الشيء من فمي ألفظه لفظاً، رميته ثم يعدّد

الدلالة المخصصة إذ يكون الملفوظ من الفم كلاماً: لفظت بالكلام وتلفظت به أي تكلمت به، وبعدها يعين المفردة بأنها "اللفظ جمعها الألفاظ"[1].

أما ابن فارس في المقاييس فهو يقول إن مادة لفظ تعني أولاً الدلالة علي الطرح المطلق، ثم هي يغلب عليها أن تكون من الفم ثم يخصص الفعل، فتقول: "لفظ الكلام يلفظ لفظاً" وبعدها يورد واحداً من المشتقات، وما يحتمله من دلالات "اللافظة: فهو الديك لصوته، وللرحى لطرح الحبوب المطحونة، والبحر لإخراجه أشياء كثيرة من جوفه[2]..

ثم يأتي الأزهري في التهذيب بدلالة الرمي من الفم علي أنها الأولى فاللفظ هو أن ترمي بشيء كان في فيك، والفعل لفظ يلفظ لفظاً، ثم يخصّص المادة بالكلمات واللفظ للفظ الكلام... بعد ذلك يورد عبارة كنائية هي لفظ فلان عصبه إذا مات، وعصبه ريقه الذي عصب بفيه أي غري به فيبس[3].

يظهر لنا من خلال – ما ذكر – في بيان اللفظ أنه أيسرُ شيء للتعبير عما في صدر الإنسان من المعاني والأغراض ومثل اللفظ – عندنا – مثل مركب يسير براكبه للوصول الي المقصد المنشود، وتزيد أهمية اللفظ عند ما نتذكر بأنّ المتكلم بإمكانه أن يستخدم عدة أنواع من التعابير لمطلب واحد أو عدة مطالب في تعبير واحد، أو... فإذن علينا أن نأخذ اللفظ وملابساته ودراسته بعين الاعتبار.

وعرف اللفظ اصطلاحا بأنه هو: الحامل المادي والمقابل الحسي المنطوق للمعنى الذي هو فكرة ذهنية مجردة، وأهم ما يميزه أنه منطوق، وهذا ما أكد عليه أغلب النحاة في تعريفاتهم، فسيبويه يقصد باللفظ العلامة الإعرابية أو الإعراب[4]. لأنه يرى أن الشكل اللفظي المتمثل في النصب يتبع معنى معينا ويوجه ويصحح عليه، كما أن الشكل اللفظي المتمثل في الرفع يتبع معنى معينا آخر ويوجه ويصحح عليه.

وعرف ابن مالك الكلمة بأنها "لفظ مستقل دال بالوضع تحقيقا أو تقديرا... والمراد هنا بالمستقل ما ليس بعض اسم كياء زيد، وتاء مسلمة، ولا بعض فعل كهمزة

أعلم، وألف ضارب. فإن كل واحد من هذه المذكورات لفظ دال بالوضع وليس بكلمة لكونه غير مستقل"[5].

وقال الشيخ خالد الأزهري: "واللفظ في الأصل مصدر لفظت الرحى الدقيق إذا رمته إلى الخارج، والمراد باللفظ هنا (أي في اصطلاح النحويين) الملفوظ به وهو: الصوت من الفم المشتمل على بعض الحروف الهجائية تحقيقا كزيد، أو تقديرا كألفاظ الضمائر المستترة، وسمي الصوت لفظا؛ لكونه يحدث بسبب رمي الهواء من داخل الرئة إلى خارجها، إطلاقا لاسم السبب على المسبب"[6].

وقال السيوطي: "ما خرج من الفم إن لم يشتمل على حرف فصوت، وإن اشتمل على حرف ولم يفد معنى فقول، فإن كان مفردا فكلمة، أو مركبا من اثنين ولم يفد نسبة مقصودة لذاتها فجملة، أو أفاد ذلك فكلام، أو من ثلاثة فكلم" [7].

وقال أبو البقاء الكفوي عن اللفظ: "هو في اللغة مصدر بمعنى الرمي، وهو بمعنى المفعول، فيتناول ما لم يكن صوتا، وما هو حرف واحد وأكثر مهملا أو مستعملا، صادرا من الفم أولا، لكن خص في عرف اللغة بما صدر من الفم من الصوت المعتمد على المخرج حرفا واحدا أو أكثر، مهملا أو مستعملا، فلا يقال لفظ الله، بل يقال كلمة الله. وفي اصطلاح النحاة ما من شأنه أن يصدر من الفم من الحرف، واحدا أو أكثر، أو تجري عليه أحكامه كالعطف والإبدال، فيندرج فيه حينئذ كلمة الله، وكذا الضمائر التي يجب استتارها. وهذا المعنى أعم من الأول. وأحسن تعاريفه على ما قيل: صوت معتمد على مقطع، حقيقة أو حكما، فالأول كزيد، والثاني كالضمير المستتر في (قم) المقدر بأنت "[8].

والملاحظ من خلال هذه التعريفات أنها تتفق في مفهوم عام ثابت للفظ وهو انحصاره في المنطوق أو الملفوظ، كما أن مصطلح اللفظ يتصل بمصطلحات أخرى تحيط به وهي: القول والكلم والجملة والكلام والكلمة..

المعنى اللغوي والاصطلاحي للمعنى:

سوف نأتي على المعنى اللغوي لكلمة " معنى" من خلال مادتين يصبان في معناها ويتصلان به وهما(عنى) و(عنو)، مع أن المعنى الشامل والعام للاستعمالين هو:" حبس شديد مع تضييق واستمرار يترتب عليه ظهور"، وهذا يتجلى من استعمالات المادة فيقال:

1- "عنا فيهم فلان أسيرا يعنو، وعني فيهم يعنَى" أقام فيهم على إساره واحتبس ، العناء: الحبس في شدة وذل، عنا الرجل يعنو: إذا ذل لك واستأسر وعنيته تعنية إذا حبسته مضيقا عليه حبسته حبسا طويلا.

فالاحتباس هنا هو الأسر، وقد قيد بالشدة والتضييق مرة ، وأخرى بالطول، مع ما يترتب عليه من ظهور وعدم إخفاء في داخل السجن لكونهم يعملون مكبلين تحوطا من هروبهم.

2- "عنا فيه الأكل يعنو، وعني فيه يعنى ،نجع" فالطعام يكون في البطن ويبقى أثره فيها، وهذا هو الاحتباس الشديد ونجوعه ظهور أثره على البدن سِمنا وائتبارا.

3- "عنت الأرض بالنبات تعنو وتعنى أظهرته، أو ظهر نبتها. لم تعنُ بلادنا بشيء، ولم تعنِ بشيء لم تنبت شيئا. ما أعنت الأرض شيئا: ما أنبتت" فالنبات ظاهر على وجه الأرض، لكن بذوره محتبسة في باطن الأرض ممسوك بها، وبدونها ما كان نبات[9].

أما المعنى في الاصطلاح:

فقد اختلف في تعريفه ويرجع ذلك إلى اختلاف اهتمامات الدارسين له وتعدد ميادين بحوثهم، بالإضافة إلى كثرة المصطلحات المستعملة لهذا المجال والمرتبطة به.

فالمعنى في كلام النحويين لم يكن واحدا، ومن ذلك أنهم كانوا يقصدون به المعنى الصرفي، وأحيانا المعنى الدلالي بصفة عامة، وأحيانا ثالثة كانوا يقصدون به المعنى النحوي، أي وظيفة الكلمة في الجملة كالفاعلية والمفعولية والإضافة.

والواضح أن جلّ حديثهم الصريح عن المعنى كان بهذا القصد، ومن هذا قول ابن جني عن الإعراب أنه " الإبانة عن المعاني بالألفاظ، ألا ترى أنك إذا سمعت: أكرم سعيد أباه وشكر سعيدا أبوه، علمت برفع أحدها ونصب الآخر الفاعل من المفعول، ولو كان الكلام شَرْجًا واحدا، لاستبهم أحدهما من صاحبه "[10].

ويتصل بحديث النحاة أيضا عن المعنى أننا نجد تقسيما مهما للدلالة عند ابن جني كذلك، يرى فيه أن الدلالات ثلاث: لفظية كدلالة (قام) بلفظه على مصدره، وصناعية كدلالة (قام) أيضا بصيغته على الزمن الماضي، ومعنوية كدلالة معنى هذا الفعل على ضرورة وجود فاعل له [11]،ومثل هذا التقسيم الدلالي له أهميته الواضحة في دراسة العلاقة بين اللفظ والمعنى من الناحية اللغوية والمعرفية في تراثنا.

المبحث الثاني:

مكـــانة اللـــفظ والمعـــنى

لقد برزت هذه القضية بوضوح في تاريخ الأدب العربي وخاصة في القرن الثالث الهجري، وشغلت الأدباء والنقاد وظلت مناط البحث والجدل فترة طويلة. وقد انقسموا إلى فريقين، وقد كان الاتجاه السائد هو تفضيل اللفظ على المعنى حتى ظهر النقد العربي[12].

ونظرا لأهمية اللفظ والمعنى عموما وارتباطهما بكثير من العلوم ومجالات المعرفة الإنسانية، لم تقتصر دراستهما قديما وحديثا – عند العرب وغيرهم– على مجال اللغة وحدها الذي يعد أكثر ميادين العلوم اهتماما بهما[13]، بل إن كل المجالات المعرفية ذات الصلة بهذه القضية درست ما يخصها منها. ولذلك كانت قضية اللفظ

والمعنى في تراثنا مسألة أساسية ومشتركة في جميع العلوم والدراسات العربية التي تتصل بالكلمة، واللغة حيث إنها "هيمنت على تفكير اللغويين والنحاة وشغلت الفقهاء والمتكلمين، واستأثرت باهتمام البلاغيين والمشتغلين بالنقد، نقد الشعر، والنثر، دع عنك المفسرين والشراح الذين تشكل العلاقة بين اللفظ والمعنى موضوع اهتمامهم العلني الصريح"[14].

وقد كان من إسهام اللغويين العرب في هذا المجال: وضع معاجم الألفاظ ومعاجم المعاني، ودراسة اتصال معاني الألفاظ المتحدة الأصول، ومحاولة ربط بعضها ببعض فيما عرف باسم الاشتقاق الأصغر، والاشتقاق الأكبر، وكذلك بحث المطابقة بين اللفظ ومعناه من حيث مناسبة كل منهما للآخر[15]، وتفسير العلاقة أيضا بين اللفظ والمعنى بأنها– وهذا رأي أكثرهم– عرفية اعتباطية.

وكذلك إظهار الاستفادة من أصوات الكلمة نفسها، أي أن هناك علاقة طبيعية بين الدال والمدلول، فكلمة (تنضخ) مثلا، تعبر عن: فوران السائل بقوة وعنف، وهي إذا ما قورنت بنظيرتها (تنضح) التي تدل على: تسرب السائل في تؤدة وبطء، فإن تلك المقارنة تكشف عن أن لصوت الخاء في الأولى دلالة صوتية قوية، إذ إنه أكسبها– في رأي أولئك الذين يقولون بوجود هذه المناسبة– تلك القوة والعنف[16]، بينما خلت من الكلمة الثانية.

ولعل ما ذكر أوجب على الباحثين توجه جهودهم في هذا للسير في ثلاث اتجاهات واضحة وجلية هي:

دراسة الحقيقة والمجاز، وبحث خصائص التراكيب، ودراسة الظواهر البديعية اللفظية، وقد نتج عن هذه الجهود اكتشاف نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني ولقد وضع ثلاثة علوم تمثل هذه الاتجاهات هي: البيان، والمعاني، والبديع، وهذه العلوم يجمعها إطار مشترك هو" العلاقة بين الاختيار الأسلوبي باعتباره رمزا وبين

المعنى"[17]، وهي إحدى مجالات علم اللغة الذي يعرف بالبحث في الدلالة لكونها أداة التعبير والتفاهم، ويندرج تحت هذا المجال كثير من البحوث نذكرها بشيء من الإيجاز:

1.البحث في معاني الكلمات. 2. البحث في بنـية الكلمة.

3.البحث في أقسـام الكلمات. 4. البحث في أساليب اللغة.

وتتمثل هذه الدلالة فيما تؤديه مثلا الزيادات في بنية الكلمة من معان مضافة إلى معنى الجذر المعجمي الأصل، فلو قيل: مرض الطبيب الرجل، لكان المعنى المتعين من هذا الفعل مرض مؤتلفا من معنى الجذر مضافا إليه دلالة هذه الصيغة التي تفيد القيام على المرض في هذا المقام، ولو قيل "محلب" بكسر الميم، لكان المعنى المتعين من هذا اللفظ هو دلالة حلب مضافا إليها دلالة هذه الصيغة الصرفية التي تدل على القدح الذي يحلب فيه، وإذا ما قيل محلب فإن المعنى المستفاد بالإضافة إلى معنى الجذر دلالة صيغة مفعل التي تدل على المكان الذي يحتلب فيه[18]،

ويظهر لنا من خلال ما ذكر أن للقوالب الصرفية دورها البارز في تقديم جزء من المعنى، وقد يحدث في بعض الأحيان أن تختلف هذه القوالب الصرفية دون أن يكون هذا مفضيا إلى اختلاف في المعنى، ومن ذلك مجيء صيغة "فعل وأفعل بمعنى واحد في بعض الأحيان، فيقال: محضته النصح، وأمحضته النصح، والمعنى واحد[19]، ونقول سلكته وأسلكته، قال الله –عز وجل–: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ﴾، وقال الهذلي:

حتَّى إذا أسْلَكُوهُمْ في قُتَائِدَةٍ شَلاً كما تَطْرُدُ الجَمَّالةُ الشّرُدَا [20]

يدرس علم النحو من جانبين اثنين: جانب تركيب الجملة العربية، وجانب الإعراب، ومعرفة هذين الجانبين تفضي إلى المعرفة بالدلالة النحوية، أو بالبحث في أقسام الكلمة – كما أشرت سالفا– إذ إن هندسة الجملة العربية تحتم ترتيبا خاصا وفق قواعد اللغة المعمول بها، وإذا اختلت كان الاختلال مخلا بقواعد اللغة فإن السامع قد يضل عن مقاصد الكلام، فلو قال قائل: (ضرب موسى عيسى) لاقتضى هذا التركيب أن تكون الدلالة المستفادة منه أن موسى الفاعل، وعيسى المفعول به، ولو قال آخر :

(هن حواج بيتِ الله) لكان المعنى المتعين من هذه الحركة الإعرابية أن النساء قد حججن . وإذا ما قيل : (هن حواج بيتَ الله) فإن المعنى من هذه الحركة الإعرابية أن النساء يردن الحج ولمّا يفعلن [21].

وتتضح جليا ثنائية اللفظ والمعنى بمفهومهما الواسع في تحليل النحاة في سائر الأبواب، وتسود–على وجه الخصوص– حديثهم عن مقدمات التأليف النحوي الثلاث، وهي: وحدات القول، والإعراب والبناء، والنكرة والمعرفة، والقواعد التي تقوم على اللفظ والمعنى تتمثل فيما يلي:

أ– الحمل على المعنى والحمل على اللفظ.

ب– إصلاح اللفظ.

ج– الفرق بين تقدير الإعراب وتفسير المعنى.

فأما الحمل على المعنى وعلى اللفظ، فالأول المشهور فيه أنه إعطاء الشيء الحكم اللفظي لما يشبهه في معناه.

وقد يتوجه معنى الحمل على اللفظ لما يقابل المفهوم السابق للحمل على المعنى فيكون المقصود به إعطاء الشيء حكم ما أشبهه في لفظه. وهناك معنى آخر لكل من الحمل على المعنى والحمل على اللفظ، وهو أن يكون للشيء حكم من حيث ظاهر اللفظ وحكم آخر من حيث المعنى، فإذا روعي في الاستعمال حكم ظاهر اللفظ سمي هذا حملا على اللفظ، وإذا روعي حكم المعنى سمي هذا حملا على المعنى [22].

المبحث الثالث

اللفظ والمعنى بين القدامى والمحدثين

لقد شغل بعض العرب القدماء كثيرا في بحث هذا المطلب ومنهم ابن جني الذي يقول بوجود تلك المناسبة الطبيعية بين الدال والمدلول، وقد خصص ابن جني في

كتابه الخصائص فصلين في هذا الجانب، هما باب في تعاقب الألفاظ لتعاقب المعاني، وباب في إمساس أشباه الألفاظ أشباه المعاني[23]، وقد عد ابن جني مقابلة الألفاظ بما يشاكل أصواتها من الأحداث بابا عظيما واسعا، ونهجا عند عارفيه مأموما، وذلك أنهم كثيرا ما يجعلون أصوات الحروف على سمت الأحداث المعبر بها عنها[24]،ومن ذلك عنده "بحث" فالباء لغلظها تشبه بصوتها خفقة الكف على الأرض، والحاء لصلحها تشبه مخالب الأسد وبراثن الذئب إذا غارت في الأرض، والثاء للنفث[25].

ومن المحدثين من تابع ابن جني وابن فارس في هذا الرأي، كمحمد المبارك الذي يرى أن المرء بإمكانه أن يقول في غير تردد إن للحرف في العربية إيحاء خاصا، وهو إن لم يكن يدل دلالة قاطعة على المعنى، فإنه يدل دلالة اتجاه وإيحاء، ويثير في النفس جوا يساعد على قبول المعنى ويوجه إليه[26].

ويرى عبد الله العلايلي أنه بإمكانه أن يعين دلالات الحروف على اختلاف أصواتها، وهو لا يكاد يشك في أنه يمكن حلها وتحديد معانيها، ومن ثم يفهم العربية – كما يرى– فهما لا شية فيه ولا شبهة عليه[27].

إلا أنه ليس مقبولا لدى جل علماء اللغة المحدثين ما يذهب إليه القائلون بوجود تلك المناسبة، وذلك – ومن خلال وجهة نظرهم – أن الكلمة الواحدة قد لا تعبر عن أي معنى أولا، والمعنى الواحد قد يعبر عنه بعدة كلمات مختلفة الأصوات ثانيا، والأصوات والمعاني تخضع لقانون التطور المستمر ثالثا، فقد تتطور الأصوات وتبقى المعاني سائدة، كما قد تتغير المعاني وتظل الأصوات على حالها، وهذه حجة تدحض زعم القائلين بوجود تلك المناسبة[28]، لكن ومع هذا فإنه لا ينفي أن يبقى قدر من الكلم يومئ بتشكيله اللفظي إلى معناه، ولعله من تلك الألفاظ التي تعد صدى لأصوات الطبيعة كما يرى دي سوسير، ومن ذلك أيضا ما يدفع الإنسان في اختياره للمعاني والألفاظ، وتجريده لأطر الشكل باستنباط المعاني الجديدة كما نراه الآن في اقتران بعض الصيغ التي تنطق بها العامة بمعان عامة تكاد تومئ إليها[29].

وقد يحدث أن يُتبع المرء كلمة، بكلمة أخرى تأكيدا وتقوية لها، ولا يخفى أن الصيغة التي ترد عليها الكلمتان واحدة، وقد يختفي المعنى من الكلمة الثانية، لأنها تشبه في تشكيلها الصوتي الكلمة التي عرف معناها وذاعت، ومن ذلك "حسن بسن"، وفيها يقول السيوطي: "ولهذا قال ابن دريد: سألت أبا حاتم عن معنى قولهم بسن، فقال: لا أدري ما هو"[30]، ولعل كلمة "بسن" توحي بتشكيلها الصوتي المشابه لكلمة حسن ما توحيه هذه الكلمة، وقد أشار القالي إلى أنه يجوز أن تكون النون في بسن زائدة فالأصل بس، وهو مصدر بسست السويقة أبست إذا لتته بسمن أو زيت، ثم حذفت إحدى السينين وزيد فيه النون، وبني على مثال حسن[31].

كما أن الدلالة الصوتية قد تتجلى في التنغيم الذي لا يظهر بجلاء إلا في الجانب النطقي، فقد تكون هيئته هيأة استفهام، أو تعجب، أو إخبار، وكل هذه تؤثر في المعنى المتحصل في صاحبه [32]، وأما الفرق بين تقدير الإعراب وتفسير المعنى، فقد ذكر ابن جني هذه القاعدة أيضا في أكثر من موضع تصريحا أو ضمنا[33]، من ذلك قولهم: (زيد قائم) ربما يظن أن زيدا هنا فاعل في الصنعة كما هو فاعل في المعنى، وليس كذلك لأن الفاعل من يقع بعد الفعل ويسند إليه.

ونخلص مما تقدم أنه لو كانت دلالة للفظ لاهتدى إليها العربي والفارسي والرومي إلى نفس الألفاظ ، وهذا ما لم يكن لذا نرى كثيرا من العلماء المحدثين قد أنكروا الصلة بينهما، بينما نجد نفرًا آخر من العلماء يرون أن العلاقة بينهما علاقة اعتباطية عرفية نشأت بمرور الزمن فتوهم المتكلمون باللغة أن هناك رابطا بين الألفاظ ومعانيها، وفي ذلك يقول الدكتور تمام حسان: "وليس في الفكر ما يفرض شكلا معينا للرموز الصوتية فهذه الرموز موضوعة وضعا اعتباطيا"[34]، ويرى أن العلاقة بين الكلمات ومعانيها علاقة عرفية محددة بالاستعمال ومن أنار هذا الرأي الدكتور عبده الراجحي، في كتابه فقه اللغة، والدكتور رمضان عبد التواب في كتابه فصول في فقه

اللغة، فقد قالا معقبين على فرضية العلاقة الطبيعية بأنه لو صح ذلك لاهتدى كل إنسان إلى أي لغة على وجه الأرض.

أما الدكتور إبراهيم أنيس فيقول: "والأمر الذي لم يبد واضحا في علاج كل هؤلاء الباحثين هو وجوب التفرقة بين الصلة الطبيعية والصلة المكتسبة في كثير من ألفاظ كل لغة نلحظ تلك الصلة بينها وبين دلالتها ولكن هذه الصلة لا تنشأ مع تلك الألفاظ أو تولد بمولدها وإنما اكتسبتها اكتسابا بمرور الأيام وكثرة التداول والاستعمال[35].

الخـاتمــة

لم يوجد علم من العلماء ضرب في علم من علوم العربية، بسهم إلا وقد شارك برأيه حول علاقة اللفظ بالمعنى سواء أكان من القدامى أم المحدثين ولعل مرد ذلك راجع إلى:

- الصراع الدائر بين المتعصبين وأنصار الشعوبية، في أن الألفاظ للعرب فهم من لهم شرف السبق في اختراعها، وأن المعاني كانت من نصيب الأعاجم، ولعل هذا ما دفع بالباحثين إلى العناية بالجانب اللغوي وخاصة في القرآن الكريم لكونه المظهر الوحيد للتحدي.
- اتساع المجال الثقافي وزيادة رقعة الإسلام، وكثرة الاستخدام والاستحداث اللفظي أوجب على اللغويين والبلاغيين والنقاد العرب تتبع هذه الألفاظ وربطها بمعانيها فتوسعت بذلك الدراسات المعجمية.
- سحر ألفاظ العربية والافتنان بها وببلاغتها والاعجاب بها جعل البحاث يتبارون لإظهار مكامنها والكشف عن أسراها وخباياها سعيا في إبراز معالم ما تحويه الألفاظ من معان متعددة وغير مشتركة.

- أغلب القائلين بالصلة الطبيعية بين اللفظ والمعنى هم من مقلدي نظرية المحاكاة في نشأة اللغة أو من أنار المعتزلة فهم يرون أنه توجد مناسبة طبيعية بين اللفظ ومعناه.

ونختم القول بأن اللغة كأن حي كغيره من الموجودات يحيا بحياة المتكلمين ويموت بموتهم فتولد الألفاظ يترتب عليه ظهور معانٍ تكتسب مع مرور الزمن بكثرة التداول بين المتكلمين واستعمالهم لها.

الهوامش:

(1) الجوهري: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبدالغفور عطار، دار العلم للملايين بيروت، ط4، 1987م. مادة (ل. ف. ظ).

(2) ابن فارس: مقاييس اللغة، تحقيق: عبدالسلام هارون،القاهرة1366هـ ،مادة (ل. ف. ظ)

(3) الأزهري: تهذيب اللغة ، الدار المصرية للتأليف والترجمة. مادة (ل. ف. ظ)

(4) الأعلم الشنتمري: النكت في تفسير كتاب سيبويه، تحقيق رشيد بالحبيب، وزارة الأوقاف، المغرب، 1999، 200/1.

(5) ابن مالك: شرح التسهيل، تحقيق عبد الرحمن محمد بدوى المختون، دار هجر، القاهرة، 1990، 3/1-4.

(6) الشيخ خالد الأزهري: شرح التصريح على التوضيح، دار إحياء الكتب العربية، فيصل الحلبي، القاهرة، دت، 19/1-20.

(7) السيوطي: الأشباه والنظائر في النحو، تحقيق عبد العال سالم مكرم، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1985، 5/3.

(8) أبو البقاء الكفوي: الكليات، تحقيق عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1993، ص795.

(9)الزبيدي: تاج العروس، تاج العروس، مكتبة الحياة، بيروت، مصور عن المطبعة الخيرية بمصر1306هـ، ابن منظور: لسان العرب، الدار المصرية للتأليف والترجمة، مصورة عن طبعة بولاق. مادة (ع.ن.و/ع.ن.ى).

(10) ابن جني: الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط3، 1986، 35/1.

(11) الخصائص 100/3.

(12) ابن رشيق القيرواني: العمدة في صناعة الشعر وآدابه ونقده، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، ط4، 1972، 124/1-127.

(13) جون لاينز، اللغة والمعنى والسياق، ترجمة عباس صادق الوهاب، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط1، 1987، ص16.

(14) محمد عابد الجابري، اللفظ والمعنى في البيان العربي، فصول، المجلد السادس، العدد الأول، 1985، ص21.

(15) الخصائص 2/2،267/154.

(16) محمد رضوان: نظرات في اللغة، مطابع الحقيقة، بنغازي، ط1، 1976، ص396.

(17) تمام حسان: الأصول، دراسة ابستمولوجية للفكر اللغوي عند العرب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1982، ص346.

(18) ابن فارس، أبو الحسن أحمد :الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، تحقيق عمر فاروق الطباع، مكتبة المعارف، بيروت، ط1، 1993م، ص 197 بتصرف.

(19) ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم: أدب الكاتب، شرح علي فاعور، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 1988، ص283.

(20) المصدر السابق، والبيت لعبد مناف بن ربع الحربي الهذلي، ص143.

(21) ذكر هذا المثال ابن فارس في الصاحبي، ص197.

(22) عبد السلام السيد حامد: الشكل والدلالة، دراسة نحوية للفظ والمعنى، دار غريب للطباعة والنشر، 2002، ص31.

(23) الخصائص، 2/147_154.

(24) المصدر نفسه، ص159.

(25) المصدر نفسه، ص165.

(26) محمد المبارك: فقه اللغة وخصائص العربية، دراسة تحليلية مقارنة للكلمة العربية وعرض لمنهج العربية الأصيل في التجديد والتوليد، دار الفكر، دمشق، ط2، 1964، ص261.

(27) عبدالله العلايلي: مقدمة لدرس لغة العرب وكيف نضع المعجم الجديد، المطبعة العصرية، القاهرة، دت، ص129.

(28) إبراهيم أنيس: من أسرار اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة،1922، ص 129.

(29) مهدي أسعد عرار، جدل اللفظ والمعنى، دراسة في دلالة الكلمة العربية، دار وائل للنشر والتوزيع، ط1، 2002، ص24.

(30) السيوطي: جلال الدين، المزهر في علم اللغة وأنواعها، تحقيق أحمد جاد المولى وآخرين، دار الفكر، القاهرة، دت،415/1.

(31) القالي، أبو علي إسماعيل: الأمالي، تحقيق محمد عبد الجواد، دار الكتب العلمية، بيروت، دت، 217/2.

(32) جدل اللفظ والمعنى، دراسة في دلالة الكلمة العربية، ص25.

(33) الخصائص، 280/1،258/3، 263.

(34) د. تمام حسان: اللغة معناها ومبناها، دار الثقافة للنشر والتوزيع، مصر، د ط، 2001م، ص341.

(35) د. إبراهيم أنيس: دلالة الألفاظ، الناشر مكتبة الأنجلو المصرية، ط1980،4م ص71.

المصادر والمراجع:

1. إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، الناشر مكتبة الأنجلو المصرية، ط4، 1980م.
2. إبراهيم أنيس، من أسرار اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة،1922 م.
3. ابن جني أبو الفتح، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط3، 1986م.
4. ابن رشيق القيرواني، العمدة في صناعة الشعر وآدابه ونقده، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، ط4، 1972م.
5. ابن فارس، أبو الحسن، الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، تحقيق: عمر فاروق الطباع، مكتبة المعارف، بيروت، ط1، 1993م.
6. ابن فارس، أبو الحسن، مقاييس اللغة، تحقيق: عبدالسلام هارون،القاهرة1366هـ.
7. ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم، أدب الكاتب، شرح علي فاعور، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 1988م.
8. ابن مالك، شرح التسهيل، تحقيق عبد الرحمن محمد بدوى المختون، دار هجر، القاهرة، 1990م.
9. ابن منظور، جمال الدين، لسان العرب، الدار المصرية للتأليف والترجمة، مصورة عن طبعة بولاق.
10. أبو البقاء الكفوي، الكليات، تحقيق عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1993م.
11. الأزهري، أبو منصور، تهذيب اللغة، الدار المصرية للتأليف والترجمة.
12. الأعلم الشنتمري، النكت في تفسير كتاب سيبويه، تحقيق رشيد بالحبيب، وزارة الأوقاف، المغرب، 1999م.

13. تمام حسان، الأصول، دراسة ابستمولوجية للفكر اللغوي عند العرب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1989م.
14. تمام حسان، اللغة معناها ومبناها، دار الثقافة للنشر والتوزيع، مصر، د.ط،2001م.
15. جون لاينز: اللغة والمعنى والسياق، ترجمة عباس صادق الوهاب، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط1، 1987م.
16. الجوهري، أبو إسماعيل، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبدالغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت،ط4، 1987م.
17. خالد الأزهري:
18. الزبيدي، أبو الفيض، تاج العروس، مكتبة الحياة، بيروت، مصور عن المطبعة الخيرية بمصر1306هـ.
19. السيوطي، جلال الدين، الأشباه والنظائر في النحو، تحقيق عبد العال سالم مكرم، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1985م.
20. السيوطي، جلال الدين، المزهر في علم اللغة وأنواعها، تحقيق أحمد جاد المولى وآخرين، دار الفكر، القاهرة، د ت.
21. شرح التصريح على التوضيح، دار إحياء الكتب العربية، فيصل الحلبي، القاهرة، دت.
22. عبد السلام السيد حامد، الشكل والدلالة، دراسة نحوية للفظ والمعنى، دار غريب للطباعة والنشر، 2002 م.
23. عبدالله العلايلي، مقدمة لدرس لغة العرب وكيف نضع المعجم الجديد، المطبعة العصرية، القاهرة، د ت.

24. القالي، أبو علي، الأمالي، تحقيق محمد عبد الجواد، دار الكتب العلمية، بيروت، د ت.
25. محمد المبارك، فقه اللغة وخصائص العربية، دراسة تحليلية مقارنة للكلمة العربية وعرض لمنهج العربية الأصيل في التجديد والتوليد، دار الفكر، دمشق، ط2، 1964م.
26. محمد رضوان، نظرات في اللغة، مطابع الحقيقة، بنغازي، ط 1، 1976م.
27. محمد عابد الجابري، اللفظ والمعنى في البيان العربي، مجلة فصول، المجلد السادس، العدد الأول، 1985م.
28. مهدي أسعد عرار، جدل اللفظ والمعنى، دراسة في دلالة الكلمة العربية، دار وائل للنشر والتوزيع، ط1، 2002 م.